المحاضرة السابعة

علاقة الفلسفة بالديانات السماوية:

الديانة اليهودية:

الديانة اليهودية مغلقة يعتقد معتنقيها أن اليهود شعب الله المختار فضلهم وميزهم على غيرهم من الشعوب وجعل لهم حق السيطرة على الشعوب الأخرى ،لهذا يعتقدون أن اختلاطهم لغيرهم يفسد نقاء عرقهم ويفسد معتقدهم ولذلك لم يسعوا لنشر دينهم بين الناس ترجمت التوراة في الإسكندرية الي اللغة اليونانية (السبعينية) و أول فيلسوف يهودي هوفيلون (20 ق م- 50 م) حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين اليهودي،فقدم البراهين العقلية على العقائد اليهودية وشرحها بطريقة عقلية مزج الآراء الفلسفية بالدين معتقدا أن اليهودية مصدر كل تفكير ومعرفة (الفلسفة خادمة الدين) وكان فيلون المفكر الحر الذي أضاف واستعان بالفلسفة للوصول إلى الحقيقة الدينية و استعمل التأويل الرمزي ليشرح تفسيرات العهد القديم ويظهر إيمانه في تغليبه الوحي الإلهي المرفوع عن كل تعيين فلاله هو مفارق للعالم،خالق له.

الديانة المسيحية:

عارض اليهود تعاليم المسيح وعند نشر تعاليمه اصطدم المبشرين المسيحيين بالفلسفة اليونانية ومدارسها،فأدركوا أنهم بحاجة الي تعميق تعاليمهم بمزجها بالفلسفة،فظهرت بذلك مشكلة العلاقة بين العقل والنقل،وبدت الديانة المسيحية مند البداية ديانة روحية فائقة للعقل فتصدي أنصار هذه الديانة للدفاع عن الايمان وإثبات معقولية الديانة المسيحية وإستخدمت الفلسفة كأداة للتوفيق بين العقل والنقل هذا ما أكده القديس أوغسطين "العقل يسبق الإيمان ، والإيمان يسبق العقل،وأنا أومن لكى أتعقل "(زكريا ابراهيم ،مشكلة الفلسفة ص 138) إن مهمة العقل قبل الإيمان هي الإستيثاق يفحص عن اليقين أما مهمة العقل بعد الإيمان هي تفهم العقائد الدينية وتعقل معتقداته.

تأثر الفلاسفة المسيحيين فيما بعد بفلسفة أرسطو من بينهم القديس توما الإكوينى الذي ميز بين العقل والوحي وهما وسيلتان من وسائل المعرفة فهناك حقيقة في مجال الدين وحقيقة في مجال العقل والفلسفة ولكن العقل والنقل ليسا نقيضين بل يمثلان خطوتين متتاليتين تكمل الواحدة منهما الأخرى في مجال المعرفة(زكريا ابراهيم ،نفس المرجع،ص 138) نادت النزعة المسيحية التي سادت في العصور الوسطى بقصور العقل البشري عن الإحاطة بالكثير من مسائل ما بعد الطبيعة لذا خضعت الفلسفة للدين و انتشرت العبارة المشهورة"الفلسفة ما هي إلا خادمة لعلم اللاهوت "(زكريا ابراهيم ،نفس المرجع ص139)

مارست الكنيسة في العصور الوسطى سلطة تعسفية على أتباعها وعلى مفكريها ورفضت كل أفكار جديدة تختلف آراء أرسطو وبهذا كانت العلاقة الرسمية بين الفلسفة والدين تتلخص في أن للفيلسوف الحرية في الوصول الي أية نتائج قد يوحى بها تفكيره شريطة ألا تكون نتائجه متعارضة مع نتائج الوحى واللاهوت المقدس ومن هذا كان الدين مسيطرا على الفلسفة.

الفلسفة والدين عند المسلمين:

مر الدين الإسلامي بمرحلتين:

ا - مرحلة التصديق القلبي و الايمان بالعقائد والأصول حتى رسخ الدين.

ب - مرحلة البحث النظري والتدليل العقلي وصياغة معتقداته في قالب فلسفي والدفاع عنها بسلاح المنطق والحجة و البرهان ، هنا بدأت حركة الترجمة وحاول معظم فلاسفة الإسلام التوفيق بين الحكمة والشريعة ولكن قبل التعرف على موقف المسلمين لابد من توضيح التباين بين الفلسفة اليونانية والدين الإسلامي.

يقر القرآن بالخلق من العدم ووحدانية الله وعنايته فهو خالق لكل شيء فاعل له...أما الفلسفة اليونانية فلا خلق من عدم والوحدانية موضع شك وعولجت بطريقة مختلفة مثلا يقول أفلاطون بالصانع و أرسطو بالمحرك الأول ولا وجود للعناية الإلهية.

نلتمس في الفكر الإسلامي ثلاثة مواقف من مسألة الحكمة والشريعة:

موقف علماء الكلام المسلمين إنه مبحث عقلي يستند في الرد على الخصوم والدفاع عن العقيدة بواسطة الكلام أو القول الفلسفي أو الحجاج الفلسفي والبرهان العقلي و استعان علماء الكلام بالمنطق والفلسفة ومن بين الفرق،المعتزلة الذين إنحازوا في دفاعهم عن العقيدة الي العقل وقالوا "العقل قبل ورود السمع "(الجابري،العقل الأخلاقي العربي،ص115) فقبل الاستناد الي الكتاب والسنة يجب أن نعلم أن ثمة إلها أنزل الكتاب وبعث الرسل 'العلم بذلك لا يأتي إلا عن طريق العقل والله لا يمدنا بالعقل إلا ليكون هاديا و مرشدا "(سعدييف أرتور،سلوم توفيق،الفلسفة العربية الإسلامية،ص50).

يعتبر"ابن رشد" من بين الفلاسفة الذين وفقوا بين الفلسفة والدين وبين أن كلا من الحكمة والشريعة في حاجة الى الأخرى وهما يعبران عن حقيقة واحدة،كل على نحوه الخاص،ومن ثم لا ينبغي أن يكون بينهما خلاف ولا يجوز أن يقع بسببهما خلاف بين الرجال ، ما حدا به الى القول " الحكمة صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة "(ابن رشد،فصل المقال،ص58) فلا خلاف ببن الدين والفلسفة "فإنّ الحق لا يضاد الحق بل يوافقه "(ابن رشد،فصل المقال،ص35)

وجاء رد أبو حامد الغزالي رافضا كل المذاهب الفلسفية والكلامية،بحجة أن أصحابها وقعوا في كثير من التناقض والعجز في محاولة إقامة العقائد الدينية على أساس عقلى صرف وفطن الغزالي أن المشكلة الدينية لا يمكن أن تحل عن طريق العقل ، وإنما تتطلب ذوقا باطنيا يستطيع الإنسان عن طريقه الوصول الي الحقيقة الدينية (زكريا ابراهيم،مشكلة الفلسفة،ص139) فالحكمة اليونانية تتناقض مع الشريعة الإسلامية .

يؤكد هنتر ميد على التعارض بين الفلسفة والدين لوجود اختلاف بينهما فلا بد من التفرقة بينهما من حيث (المصدر، الموضوع ، المنهج ، الأهداف).

المصدر: الفلسفة ابتكار إنساني تعتمد على العقل قابلة التغيير والتعديل وعدم الثبات ما يبرر التعارض والاختلاف بين المذاهب الفلسفية، أما الدين فمصدره النصوص المقدسة وهو الوحي، إنه كامل لا يلازمه نقص.

الموضوع: تبحث الفلسفة في الإنسان وحقيقته،وحياته وفي المعرفة وقدرة الذهن البشري،إن موضوعاتها علمية وشبه علمية كأصل الكون وقوانينه ، وأصل الحياة وتطورها وتقوم بتحليل مناهج العلوم ونتائجها،تدرس أيضا موضوعات متعلقة بالقيم كالجمال والأخلاق وطرق التفكير إن مجال الفلسفة يشمل نطاق واسع و تعتمد أساسا على العقل لتحصيل المعارف.أما الدين فموضوعه الأول هو الإيمان والتعقل ثانيا ،جاء الدين ليقدم معرفة تزيل حيرة الإنسان وقلقه،تقيم وزنا للمسلمات والغيبيات موضوعاتها هي المحرمات الدينية والقضايا المتعلقة بالحساب الأخروي وشكل النعيم الجسدي.

المنهج: تعتمد الفلسفة على الأدلة العقلية فمنهجها مبني على الحجة والمنطق و الاستدلال الحر ، أما الدين مبني على قضايا معينة بوصفها موضوعات للإيمان،أي يقبلها تصديقا ويسلم بجملة الأصول والأركان التي تبثث وحيا منزلا لقوله تعالى:

{رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا} أل عمران الاية 193.

إن لفظ الإيمان، يدل على قبول رأي أو قضية.... على أنه ينطوي على حقيقة لا تستمد من المصادر الحسية أو العقلية لأنها نتيجة الوحي وهي وسيلة يتلقى بها الإنسان مباشرة اتصالا من عالم يعلو على عالم الطبيعة يستخدم الدين المنطق والعقل عند الشرح والتفسير و لكن إذا تعارضا العقل مع الإيمان يخضع الأول للثاني.

الأهداف: إن غاية الفيلسوف هي المعرفة،المعرفة لذاتها دون أن يهتم عما يعانيه من أجل بلوغها،والفلسفة تهتم بالنظر أكثر من العمل،أما المتدين يريد تحقيق أكبر قدر من الإحساس بالأمان والوصول الي الطمأنينة وهكذا يتضح لنا أن للدين هدف عملي أكثر من الفلسفة(يهتم بالعبادة ، الشعائر ، الأحكام ،الأوامر والنواهي) إن الإيمان ينطوي على تحقيق درجة

الإشباع الوجداني وإرشاد وهداية الإنسان أي إرشاد الإنسان في حياته بتحديد المعايير والقيم التي ينبغي أن يراعيها ويحتكم إليها الإنسان في سلوكه.